

فلسفة موسى بن ميمون

ومصنف «دلالة الحائرين»^(١)

بقلم اسرئيل ولفنسون

أستاذ اللغات السامية بدار العلوم



عن النوفيل لبتبر

إذا كانت
مدونات موسى
ابن ميمون
التشريعية قد
صنفت لآبناء
الثقافات اليهودية
قبل كل شيء ،
وإذا كانت
البحوث التي
وردت فيها
لا تتجاوز
حدود الدين

وأدب الدين والتشريع الامرائيلي فان كتاب دلالة الحائرين يشغل ناحية أخرى من التفكير الانساني ، هي الناحية الفلسفية والمنطقية ، أو الناحية الانسانية العامة التي كانت تشغل بال المفكرين ورجال الفلسفة في ذلك العهد

وقد اعتمد موسى بن ميمون في أثناء تأليف كتابه « دلالة الحائرين » على المصادر العبرية التي كان له بها إلمام يندر أن يكون في شخص آخر من أخبار اليهود في القرون الوسطى ، كما كانت له دراية تامة بمؤلفات اليهود باللغة العربية ، ومع أنه لم يسرد أسماء المؤلفين إلا في أحوال نادرة فان نظرياتهم تتكرر في كثير من فصوله في كتابه « دلالة الحائرين » إذ يسرد آراء سعديا الفيومي^(٢) ونحبا^(٣) وسليمان بن جبرول^(٤) وسهودا هالوي^(٥) وابراهيم بن

التقيت بأحد أبناء رشيد الكرام الأستاذ فؤاد نور الحماي فعدت رفقته وحدثت السرى ن ظله ، زرنا المنازل الأثرية فهذا بيت (الأماميلي) كان يملكه حاجب المحكمة الأهلية فابتماعه مصلحة الآثار ولكنه مقفل فلا دليل يقف ميامه للمسترشدين ، ولا نشرة توزع عما يجب للبناء الأثرية من بيانات ، ولا « كارت پوستال » يباع - حاولنا صورة الداخلية

والبيت من داخله تحفة فنية وفيه مئمة وسفل للبصر والبصيرة ، بنى في ٢٨ شوال سنة ١٢٢٣ هجرية وقل أن تجد من يعنى بتاريخ البناء إلا في السنوات الأخيرة وأعجب ما ترى فيه « مقصورات » شبيهة بالألواح التي تراها اليوم بالمسارح أعدت لجلوس السيدات ليشهدن مجالس الغناء وتسمى « الأغاني » إضافة إلى الغرض منها

وقفت إذن : أن هذا البيت قد شهد موقعة النصر وأنه شاهد أمين عليها ، وقفت به طويلاً وقلت : ما يؤلني أن أكون وحيداً ولا أن يرافقتي رهط قليل مادامنا نقوم بما نعلم من واجب ، فندأ يزور رشيد آلاف وغداً يكون الاحتفال عاماً ، ولاضير أن نبداً قلة وقد نعلم أن (واشنجتون) عد في وقت مجنوننا ، وأنه لم يخل من تأمر حرصه عليه ، وهو اليوم ، وفكرته اليوم متجه الأنظار للأمر بكان جميعاً

ليس في رشيد فندق لائق . وقد أعد يوناني مطعماً منذ سنوات قليلة فقاطمه أهل البلد حتى لم يجد مناصاً من اغلاقه وهجرة البلد كل دار أحق بالأهل إلا في خبيث من المذاهب رجس ولكن هذا الميدان الذي خلا ليس من أهل البلد من يملؤه ؛ أولئك الذين كتب عنهم الجنرال ستيورات الى القائد فرزيه في ٣١ مارس سنة ١٨٠٧ يقول : « إن الأهال لا يصابون بالمصائب رغم ما أحدثنا بالمدينة من تخريب حتى بلغ ما أطلقناه من القنايل من المدافع البعيدة المرى وحدها ٣٠٠ قذيفة »

على أحفاد أولئك الكرام أن يحتفلوا بذكرى أجدادهم ويعجد بدهم . وعليهم أن يسدوا كل ثغرة ، ولعلنا نقبس الرشد عما قريب عن رشيد

محمد محمود مبرول
الحماي

الشيخ عطا

(١) فصل من كتاب عن موسى بن ميمون تحت الطبع
(٢) راجع كتاب دلالة الحائرين ج ١ فصل ٦٥ ، ج ٢ فصل ٦٣ ،
ج ٣ فصل ١٧ (٣) ج ١ فصل ٥٩ ، ج ٣ فصل ٨
(٤) ج ٢ فصل ٤٢ (٥) ج ١ فصل ٥٢

وكان السبب المباشر في نشر كتابه دلالة الحائرين الحاح تلميذه يوسف بن عقين عليه ، ويقول موسى بن ميمون في مقدمته الى تلميذه : أيها التلميذ العزيز ، لما مثلت ليدى وقصدت الى عظم شأنك عندي لشدة حرصك على الطلب ، ولما رأيت في أشعارك التي وصلتني وأنت مقيم بالاسكندرية من شدة الاشتياق للأموال النظرية ، وقبل أن أمتحن تصورك قلت لعل شوقه أقوى من إدراكه ، فلما قرأت على ما قرأته من علم الهيثة وما تقدم لك مما لا بد منه ، زدت بك غبطة لجودة ذهنك ، وسرعة تصورك ، ورأيت شوقك للتعليم عظيمًا فتركتك للارتياض فيه لعلني بما لك ولما قرأت على ما قد قرأته من صناعة المنطق تعلقت آمالي بك ، ورأيتك أهلاً لأن تكشف لك أسرار الكتب النبوية حتى تطلع منها على ما ينبغي أن يطلع عليه الكاملون ، فأردت أن ألوح لك تلويحات وأشير لك بإشارات ، فرأيتك تطلب مني الازداد وأن أبين لك أشياء من الأمور الالهية وأن أخبرك بمقاصد المتكلمين وطرائقهم . . . وأمرتك أن تأخذ الأشياء على ترتيب قصد آماني أن يصح لك الحق بطرقه لا أن يقع اليقين بالمرض ؛ ولم أمتنع طول اجتماعك بي إذا ما ذكر نص من نصوص الحكماء فيه تنبيه على معنى غريب من تبيان ذلك لك ، فلما قدر الله بالافتراق ، وتوجهت الى حيث توجهت أثارته مني تلك الاجتماعات عزيزة كانت قدرت وحركتي غيبتك لوضع هذه المقالة التي وضعتها لك ولأمثالك ، وقليل مام ، وجمالها فصولاً متشورة وكل ما أكتب لك منها يصلك أولاً فأولاً ودمت وأنت سالم . . . (١)

ولم يقصد موسى بمصنفه هذا الجمهور أو المبتدئين بالنظر ، بل كان نصب أعينه « جماعة الذين أخذوا أنفسهم بالكمال الانساني وإزالة هذه الأوهام السابقة من سن الطفولية » (٢) أو إنه « ما ألف الكتاب إلا لمن تفلسف وعرف ما قد بان من أمر النفس وجميع قواها . . . » (٣) أو « لمن هو كامل في خلقه ودينه ونظر في علوم الفلسفة وعلم معانيها . . . » (٤)

أما عن غرض تأليف دلالة الحائرين فيقول المؤلف : ما كان الغرض نقل كتب الفلاسفة . . . (٥) وما كان قصدي أن أولف

حيا (١) و ابرهيم بن داود (٢) و ابرهيم بن عزمرا (٣)

وكذلك كانت له دراية بأداب اليهود القرائين (٤)

أما الفلسفة اليونانية فكان يعرفها من التراجم العربية شأن غيره من الفلاسفة في البلدان الاسلامية وهو متأثر قبل كل شيء بارسطاطاليس الذي يراه رئيس الفلاسفة ، يجله إجلالاً عظيماً إذ يقول : « وكل ما قال ارسطاطاليس في جميع الوجود الذي من لدن فلك القمر الى مركز الأرض هو صحيح بلا ريب ، ولا يبدل عنه إلا من لم يفهمه ، أو من تقدمت له آراء يريد الذب عنها ، أو تقوده تلك الآراء لانكار أمر مشاهد . . . » (٥)

وكان قد درس كتاب الأخلاق لأرسطاطاليس من ترجمة إسحق بن حنين كما علم نظرياته من شروح يونانية مترجمة الى العربية مثل اسكندر الأفروديسي (٦) وتامستيدس (٧) ويحيى النحوي (Gohannes Philapone) (٨)

وكذلك وصلت اليه نظريات ارسطاطاليس بوساطة المصنفات العربية مثل النزالي (٩) وابن باجه أبو بكر بن الصائغ (١٠) وابن الطفيل (١١) والقارابي (١٢) وآراء المتكلمين (١٣) ، وكذلك أدمج في « دلالة الحائرين » بعض النظريات لبطليموس (١٤) وجليانوس (١٥) اليونانيين

وكذلك ورد في دلالة الحائرين بحث في منزلة الممتزلة والأشعرية (١٦) مما يدل على أنه درس المذاهب الاسلامية دراسة وافية

- | | |
|--|---|
| (١) ج ٢ فصل ٤٥ | (٢) ج ١ فصل ٥٢ ، ج ٣ فصل ٣٣ |
| (٣) ج ٣ فصل ٢٠ | (٤) ج ١ فصل ٧١ |
| (٥) ج ٢ فصل ٢٢ | (٦) ج ١ فصل ٣١ ، ج ٢ فصل ٣ |
| وفصل ١٥ وفصل ٢٢ | (٧) ج ١ فصل ٧١ (٨) ج ١ فصل ٧١ |
| (٩) راجع هامش الترجمة الفرنسية لدلالة الحائرين للعالم فونك | |
| le Guide des Egarés de Maimonides publié par S. Munk | |
| ج ١ من ٢٠٨ ، ٢٤٥ ، ٣٨٣ ، ٣٩٢ | Paris 1856 — 1866 |
| (١٠) ج ١ من ٢٧٨ ، ٤٣٤ ، ج ٢ من ٨٢ ، ١٨٥ ، ٢٨٦ | |
| ج ٣ من ٢٢٢ ، ٤٣٨ | (١١) ج ١ من ١٢ ، ٣٥٨ |
| (١٢) ج ١ من ١٩٣ — ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٤٠٤ ، ٤٣٨ ، ج ٢ | |
| من ١٢٨ ، ١٣٩ ، ٢٥٩ ، ج ٣ من ١٣٩ | (١٣) ج ١ من ٥٥ ، ١٨٥ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣٣٦ ، ٣٥٢ ، ٣٧٥ — ٤٥٩ ، ج ٢ من |
| ١١٨ ، ١٢٨ ، ج ٣ من ٥٨ — ٥٩ | (١٤) ج ١ فصل ٧٢ |
| ج ٢ فصل ١٣ ، ج ٣ فصل ١٢ | (١٥) ج ١ فصل ٧٢ ، ج ٢ فصل |
| ١٣ ، ج ٣ فصل ١٢ | (١٦) ج ١ فصل ٧١ |

(١) ج ١ من ٢ (٢) ج ١ فصل ٦

(٣) ج ١ فصل ٦٨ (٤) ج ١ صدر الجزء الأول من ٣

(٥) ج ٢ صدر الجزء الثاني من ٤

العقل لا الشكل والتخطيط . . . (١)

وإدراك الآلهة عنده على الطريقة السلبية لا الإيجابية ، فانه يقول : « اعلم أن وصف الله عز وجل بالوالب هو الوصف الصحيح الذي لا يلحقه شيء من التسامح ، ولا فيه نقص في حق الله تعالى جملة ولا على حال ، أما وصفه بالايجابيات فففيه من الشرك والنقص . . . » (٢)

ويبحث الجزء الثاني في مشاكل وجود الله وتوحيده وروحانيته وما يرى الفلاسفة في الكون إذا كان قدماً أو « معدتاً » ، ومع أن موسى بن ميمون من أشد أنصار أرسطاطاليس في مسألة قدم الكون بحاربه بحاربه عنيفة ، لأن الأخذ بقدم الكون ينفي ما ورد في التوراة من أن الكون محدث ، ويقول موسى بن ميمون بعد بحث طويل في هذه المسئلة إن كل ما ذكره أرسطاطاليس وأتباعه من الاستدلال على قدم الكون ليس له براهين قطعية ، بل لها حجج تلحقها الشكوك العظيمة . . . (٣)

ثم يبحث في النبوة وماهيتها ودرجاتها وتريفها عند رجال الدين من الملل المختلفة وعند أصحاب المدارس من الفلاسفة ويشغل البحث في النبوة أغلب فصول الجزء الثاني وهو من أرق ما وصل اليه التفكير اليهودي الفلسفي في القرون الوسطى أما الجزء الثالث فيتم موسى في فصوله السبعة الأولى بحثه عن النبوة بشرحه رؤيا النبي حزقيال الذي ورد في الفصل الأول والثالث من سفره من أسفار المهد القديم ، وكل ما ورد فيها من الاصطلاحات المويصة والماني الغامضة

ثم ينتقل الى البحث في الشر ، وما يحل من المصائب بالعالم وهل الانسان هو الذي يكون مسئولاً عما يقع من الكوارث على المخلوقين أم الله سبحانه وتعالى ، ثم ينتقل الى مسئلة المتنايه الآلهية بالكون والمخلوقات ، وما يقول الفلاسفة من اليونان والمسلمين واليهود فيها

ثم يتعرض لأموار دينية في الشريعة التي جاءت لصالح النفس وصلاح البدن ، كما يشرح واجبات وعبادات وردت في التوراة على الطريقة الفلسفية

شيئاً في علم الطبيعة ، أو أن أخلص معاني العالم الآخى على بعض المذاهب ، أو أبرهن على ما يبرهن منها ، أو أن أقتضب هيئة الأفلاك ، ولا أن أخبر بمددها إذ الكتب المؤلفة في جميع ذلك كافية ، وإن لم تكن كافية في غرض من الأغراض فليس الذي أقوله أنا في ذلك الغرض أحسن من كل ما قيل ، وإنما كان الغرض بهذه المقالة أن أبين مسئلة الشريعة وأظهر حقائق (١)

ويقع الكتاب في ثلاثة أجزاء ، يشتمل كل جزء على فصول أو موضوعات ، وعلى كبر حجم الكتاب وتنوع موضوعاته فان ما ورد فيه من النظريات يتدرج تدرجاً منطقياً محكماً من قضية إلى أخرى ، فكان جميعها سلسلة واحدة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً والمهدف الأسمى الذي يرى إليه موسى بن ميمون هو أن يلقى أشعة من أنوار الفلسفة والنطق والعقل على الأيمان والشعور « العقل الفائض علينا هو الصلة بيننا وبين الله تعالى . . . » (٢) وهو يقصد التوفيق بين الدين والفلسفة « الحكمة المقولة باطلاق في كل موضوع هي الناية هي إدراكه تعالى » (٣) ، كما يقصد التوفيق بين موسى كليم الله وأرسطاطاليس شيخ الفلاسفة حتى ينظر العالم الى الدين عن طريق الفلسفة ، وحتى يطلب الحق والعرفان لا في أفق الدين وحده ، بل في ميدان العقل والنطق أيضاً ، وقد رفع بذلك الفلسفة والفلاسفة إلى مصف واحد مع الدين وكبار مفكرى الدين

ويبحث الجزء الأول من دلالة الحائر في ماهية الله وكيفية إدراكه وتوحيده ، كما يدخلنا في الكتاب المقدس عن طريق الفلسفة والنطق ، ويفتح الكتاب بحاربه عنيفة كل ما يقصد من الأوصاف المادية المنسوبة لله ، فيشرح الآية « نصنع إنساناً على صورتنا وشبهنا » (٤) إن الناس قد ظنوا أن لفظ صورة في اللسان العبرى يدل على شكل الشيء وتخطيطه فيؤدى ذلك إلى التجسيم المحض ، ورأوا أنهم إن فارقوا هذا الاعتقاد كذبوا النص . . . وأما صورة فتقع على الصورة الطبيعية ، أعنى على المعنى الذي يجوهر الشيء بما هو وهو حقيقته من حيث هو ذلك الوجود المنوى ، هو الذي عنه يكون الإدراك الأنسانى .. فيكون المراد من الصورة الصورة النوعية التي هي الإدراك

(١) ج ١ فصل ١ ص ١٢ (٢) ج ١ فصل ٥٨ ص ٧٠

(٣) ج ٢ فصل ١٦ ص ٣٤

(١) ج ٢ فصل ٢ ص ١١ (٢) ج ٣ فصل ٥٢ ص ١٣٠

(٣) ج ٣ فصل ٥٤ ص ١٣٤ (٤) سفر التكوين الفصل الأول آية ٢٦